أبو الحسن علي الحسني الندوي

الرسول الأعظم وصاحب المنة الكبرى على العالم

ومسئولية العالم المتمدن المنصف الأدبية والخلقية نحوه

نقله إلى العربية

الأستاذ السيد سلمان الحسيني الندوي

الناشر :

دار عرفات للتربية ، و النشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

١٤١٠هـ

١٩٨٩م

اهتم بالطبع
عتيق الرحمن الطيبي

المطبعة الندوية
مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

تقديم و تعريف بالبحث

بقلم الأستاذ واضح رشيد الندوى
رئيس تحرير صحيفة « الرائد »

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد الذى بعثه الله رحمـــة للعالمين ، و على آله وصحبه ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

و بعد ! فان المركز للدراسات الاسلامية فى رحاب جامعة آكسفورد ، فى إنكلترا (The Oxford Centre for Islamic Studies) الذى أنشئ فى عام ١٩٨٥م ، يعقد اجتماعه السنوى كل عام لاستعراض ما أنجزه المركز من أعمال فى سبيل تحقيق أهدافه المنشودة ، و يخصص بعض جلساته لمحاضرات كبار العلماء و الباحثين ، و يحضر سماحة

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى هـذه الاجتماعات السنوية ، و يساهم فيها بصفته رئيس المركز ، و قد وجهت الدعوة إليه لحضور اجتماع المركز السنوى ، المنعقـد فى الأسبوع الأخير من أغسطس ١٩٨٩م ، و لم يكن سماحته يتمتع بصحة جيدة ، و كان مع ذلك مرتبطاً بعـدد من المسئوليات الدعوية والعلمية، لصلته الوثيقة و دوره القيادى فى عدة حركات و نشاطات علمية و دعوية فى الهنـد ، وكانت عدة قضايا حاسمة ذات أهمية كبيرة ثائرة ، فلم يكن سماحته فى موقف الاستجابة لهذه الدعوة ، و إنمـا كانت الظروف تستدعى بقاءه فى الهند .

لكن ثارت أخيراً قضية بصدور الكتاب الشيطانى ، المعروف بآيات شيطانية ، لكاتب ينتمى إلى الجالية الاسلامية باسمه ، و الذى فقد رشده ، و سلم نفسه لاغراءات مادية أو وساوس شيطانية ، كما يقع عادة للشباب الذين لايكون لهم نصيب من التربية السليمة ، و بهرتهم الحضارة الأوربية المادية الجامحة ، و التربية الاستشراقية الحاقدة للاسلام ،

www.abulhasanalinadwi.org

و الجاحدة لمنة الرسول الأعظم على الانسانية ، أو وقعوا فريسة لمؤامرة .

أثارت هذه القضية ردود فعل إيجابية وسلبية، وثارت حفيظة المسلمين ، و كان من الطبيعي أن تثور ، وزاد من حرارتها و ثورتها موقف زعيم إيران السياسي الخميني ، فأصدر فتواه بقتل كاتب الرواية المشبوهة ، و بهذه الفتوى ذهلت أوربا كلها ، و فقدت رشدها كما فقد رشدي صوابه قبل ذلك ، و أبدت أوربا رد فعلها المشهور ، و تكتلت لمواجهة موقف المسلمين ، وشنت حرباً شعواء على الاسلام و المسلمين ، و قدمت بريطانيا أبشع نوع من العصبية الصليبية ، وضاعت القضية في وسط هذه الضجة .

لم يكن مستغربا أن يتقدم من العالم الأوربي علماء وباحثون ليفضحوا هذه الرواية التي كانت عبارة عن شتائم في ذات الرسول ﷺ ، و المقدسات الاسلامية ، و ينتقد موقف الحكومات الأوربية ، ولا تخلو أوربا من كتاب عادلين منصفين ، فقد ولى ذلك العهد الذي كانت الروح

www.abulhasanalinadwi.org

الصليبية الحاقدة تسيطر عليه، و قد أنجب الغرب عدداً من العلماء الذين اعترفوا بمنة الرسول ﷺ على الانسانية و دوره البنائي فى إنقاذ الانسانية، و تشكيل مجتمع جديد، و ما قام الاسلام به من دور رائد فى بناء حضارة إنسانية جديدة، و توجد مثل هذه الشهادات فى كتب كثير من الكتاب الأوربين، كلامرتين (Lamartine) و كار ليل (Thomas Carlyl) و دريبر (Jhon William Drapper) و توئنبي (A. Toynbee) و مائكل ـ هارت (Mickel- H. Hart) ، وقد عد الكاتب الأمريكي مائكل هارت، الرسول ﷺ على رأس قائمة العظماء فى التاريخ، و غيرهم عدد لا يحصى، كما انتقد عدد من الكتاب المعاصرين موقف الكتاب السابقين فى جحود عظمة الرسول ﷺ، و أعربوا عن اشمئزازهم به.

لم يكن مستغرباً إذاً أن يتقدم كاتب من مثل هؤلاء الكتاب للتصدى لهذا الموقف العدائى الرجعى لأوربا، الذى جدد ذكريات العهد الصليبي، و لكن التيار الجارف

www.abulhasanalinadwi.org

للحقد الذى كان نتيجة للهلع و الذعر من انتشار الاسلام، و الصحوة الاسلامية ، لم يسمح للكتاب المنصفين ، بأن يرتفعوا من الانتماءات القومية ، و العصبية الدينية ، و أن توجد فيهم تلك الجراءة التى كان يقتضيها الوضع، والروح العلمية ، و العدل .

إن هذا الموقف المشين من علماء أوربا ، و البلبلة التى ثارت حول الكتاب ، و المواقف المتناقضة إزاءه ، كانت من الدوافع الأساسية لقبول سماحة الشيخ الندوى الدعوة لحضور اجتماع المركز الاسلامى الذى يقع فى قلب بريطانيا ، و فى إحدى الجامعات المؤقرة القديمة التى قادت كفاح العلم و الحضارة فى التاريخ ، و هى ملتقى العلماء والباحثين الذين يعرف لهم فضل السبق وتشع منهما أشعة الفكر و العلم ، و لذلك قرر سماحة الشيخ الندوى أن يكون موضوع حديثه، ذات الرسول ﷺ ، وفضل تعاليمه على الإنسانية كلها و يتصح ذلك من عنوان بحثه القيم .

« محمد رسول الله ﷺ الرسول الأعظم ، و صاحب

www.abulhasanalinadwi.org

المنة الكبرى على العالم ، و مسئولية العالم المتمدن المنصف الأدبية و الخلقية نحوه » .

جاء هذا المقال فى مكانه و أوانه ، و طابق الحال ، و كان من خصائص المقال أنه نابع من العاطفة و الشعور القلبي ، و هو دائماً من خصائص كتابات سماحة الشيخ الندوى ، و هو مصدر التأثير ، لكنه بجانب صدوره من العاطفة الوقادة ، يتسم بالأسلوب العلمى التحليلى بالاقتباسات الغزيرة من كتابات العلماء الأوربيين و الاستدلال من التاريخ ، فأصبح قطعة أدبية ، وبحثاً علمياً ، و وثيقة تاريخية فى الوقت نفسه ، وقلما تجتمع هذه الخصائص فى كتابة ، وهو فضل الله تعالى ، وفيض حب الرسول ﷺ ، ونتيجة للدراسة العلمية ، و التألم القلبي ، فكان له تأثير كبير ، ونال المقال استجابة من العلماء ، فأعيد فى عدة مناسبات ، و كان له صدى فى الأوساط العلمية .

ألقى المقال أولا فى قاعة المركز الاسلامى لجامعة أوكسفورد فى ٢٢/ أغسطس ١٩٨٩م بالانجليزية ، مع تلخيص و تقديم بالعربية (لحضور عدد مشرف من العرب

www.abulhasanalinadwi.org

المثقفين و الدارسين منهم فى الجامعات البريطانية) و قد أبدى الفضلاء الانجليز و الأساتذة الجامعيون إعجابهم و تقديرهم للبحث العلمى ، و الاستعراض التاريخى الذى تضمنه هذا المقال ، وفى ٢٦/ أغسطس ١٩٨٩م ألقى بالمركز الاسلامى الدولى « بلندن » أمام جمع كبير ، مع تلخيص وتعليق فى اللغة الأردية و العربية ، وهو كما كتب الدكتور خليق أحمد النظامى ، نائب رئيس جامعة عليكراه الاسلامية سابقاً وأستاذ التاريخ فيها ، و الكاتب المعروف ، فى تقديمه للرسالة ، و كان قد حضر الاجتماع .

« إن ما يوجد فى المقال من الدراسة الموضوعية ، و الصلابة الفكرية ، و الحرقة القلبية ، و التعبير المؤثر ، لا يمكن أن يقدر إلا بمطالعة المقال ، فيجب أن يطالعه و يستفيد به كل شخص » .

ولله الحمد ، وبه تتم الصالحات .

٢٥/ من ربيع الأول ١٤١٠هـ واضح رشيد الندوى
٢٦/ من أكتوبر ١٩٨٩م دارالعلوم ندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

محمد رسول الله ﷺ

الرسول الأعظم و صاحب المنة الكبرى على العالم ، و مسؤلية العالم المتمدن المنصف الأدبية و الخلقية نحوه

سادتى ! إن هذا العالم الذى نعيش فيه ، و نقوم فيـــه بأداء واجباتنا و مسئولياتنا المنوطة بنا وفق عقائدنا و أذواقنا ، و صلاحياتنا و وسائلنا و إمكانياتنا بكل حرية و إنطلاق ، و نتعايش فيه مع المواطنين ، بل فوق ذلك مع جميع المعاصرين ، معايشة كريمة هادئة مطمئنة رخية ، و نسهم بالاضافة إلى ذلك حسب ما أوتينا من مواهب و صلاحيات و عزائم فى المجالات التعليمية و الدراسية ، و فى ميادين التأليف و البحث و التحقيق ، و التجارب العلمية و الكشوف و الاختراعات ، و نتمنى أن تكون

www.abulhasanalinadwi.org

حياتنا و بيئتنا أسلم و آمن ، و أفضل و أرقى ، و أكثر طمأنينة و رفاهية و أعلى مستوى و أرفع مكاناً .

لم تكن هـــذه الكرة الأرضية التى نسكنها و نعيش فيها مستعدة ومتهيأة ــ دائماً ــ لحياة متزنة هادئة وقورة ، و لم يكن يتسع صدرها ــ دائماً ــ للقيام بانجازات علمية و فكرية ، و مشاريع بنائيـــة و حياة كريمة نعيشها وفق معتقداتنا ومذاهبنا ، و الاحترام المتبادل فيما بيننا والتعايش السلمى (Co-Existence) بين جميع أفراد البشر .

فقد شهد التاريخ هذا الجيل البشرى على هذه الكوكبة الأرضية مراراً و تكراراً ، مشمراً عن ساقه تهيأ للانتحار و الدمار ، و الاحتراق بالنار ، ومرت عهود و أدوار فى تاريخ هذا العالم فقدت فيها السلالة البشرية جدارتها للبقـاء و الحياة ، وتحولت مكان أفراد يتميزون بالعقل و التفكير ، و الضمير الحى البصير ، إلى حيوانات و مواش و سباع ضوار و أناس فى صورة ذئاب يفترسون أبناء جنسهم و بنى جلدتهم .

www.abulhasanalinadwi.org

و احتضرت الحضارة و المدنية ، والثقافة والفنون ، و الأخلاق ، والمثل ، و الأنظمة و القوانين ، و الأصول و الضوابط الانسانية ، و غشيتها سكرة الموت .

و معلوم أن عملية تدوين التاريخ البشرى تأخرت قروناً و قروناً ، و أن عهد ما قبل التاريخ أطول و أوسع وأبعد مدى من عهد ما بعد التاريخ ، ثم أن قصة انحطاط الانسانية و سقوطها ، وعهود الوحشية و الهمجية ، لم تكن فيها من المتعة و أسباب الفخر و الاعتزاز ، ما يدفع المؤلفين و الكتاب و المؤرخين ليبذلوا مواهبهم الانشائية فى عرضها و تقديمها .

و لذلك فاننا نجد خلال فترات طويلة و أحقاب متباعدة ، شهادات و وثائق تاريخية عن سقوط المجتمع البشرى وانهيار الحضارات والمدنيات ، و زوال الحكومات و الدول و الأنظمة السياسية ، مبعثرة منثورة فى صفحات التاريخ العلمى ، وتبدأ سلسلة هذه القصة السوداء أكثر من ذى قبل من القرن الخامس المسيحى ، أكتفى هنا بذكر بعض الفترات منها :

www.abulhasanalinadwi.org

لقد أحسن المؤلف الانجليزى المعروف ه ـ ج ولس (H. G. Wells) تصوير هذا العصر ، فقال وهو يبحث فى الظروف السائدة فى عهد الحكومتين : الساسانية و البيزنطية ، فى القرن السادس لليلاد :

« كانت العلوم والفلسفة والسياسة فى حالة احتضار ، فى عهد هذين النظامين المتحاربين والمتجهين إلى الانحطاط ، فقد كان الجيل الأخير من فلاسفة « أثينا » (Athens) عاضاً على المؤلفات الأدبية العتيقة بالنواجذ ، بكل احترام وحب ، ولو بدون فهم لها ، فلما انقرض هذا الجيل لم تبق طبقة ولا أفراد أحرار وشجعان ، يتزعمون حرية الفكر وحرية التعبير ، ولا الذين يحتفظون على الأقل بتراث فكر حر ، وبحث نزيه جدى ، على دأب القدماء والسابقين ، وبجانب ما كان للفوضى السياسى و الاجتماعى من دور كبير فى القضاء على مثل هذه الطبقة ، كان من العوامل التى ساعدت على شلل الفكر الانسانى ، و تجمد القرائح البشرية ، أن هذا العصر كان عصر العصبية وعدم التسامح فى ظلال

www.abulhasanalinadwi.org

الحكومتين الايرانية و البيزنطية ، فقـــد كانت هاتان الحكومتان دينيتين نوعاً ما ، و قد كانتا فرضتا قيوداً على العقل البشرى » (١) .

و بعد ما قص الكتاب قصة زحف الامبراطورية الايرانية عـــلى الامبراطورية البيزنطية ثم انتصار البيزنطيين عـــلى الايرانيين فى شىء من التوسع ، عاد إلى وصف التدهور الاجتماعى والخلقى السائد فى أواخر القرن السادس المسيحى فقال :

« كان يسوغ لمتتبع — غير محنك ناضج الفكر — للأوضاع السائدة فى أوائل القرن السابع المسيحى ، أن يتنبأ بسهولة وبثقة بأن أوربا و آسيا ستقعان تحت رحمـــة المغول الوحوش فى غضون بضعة قرون قادمة ، فلم تكن فى أوربا الغربية أمارات للامن و النظام و حكم القانون ، و قد كانت المملكتان البيزنطية و الايرانية ، مشغولتين فى

(1) H. G. Wells, A short history of the world, (London—1924) pp. 140-41.

www.abulhasanalinadwi.org

حرب إبادة و تدمير ، بينما كانت الهنـــد فى حالة توزع و بؤس » (١) .

و يقول Robert Briffault :

« لقد أطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً ، و قد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا ، و أفظع من همجية العهد القديم ، لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، و قد انطمست معالم هذه الحضارة ، وقضى عليها بالزوال ، و قد كانت الأقطار الكبيرة التى ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها فى الماضى ، كايطاليا ، وفرنسا ، فريسة الدمار و الفوضى و الخراب » (٢) .

و يقول J. H. Denison عن سقوط الحضارة التى تمت وترعرعت فى أحضان الديانات القديمة :

---

(1) H. G. Wells. A short history of the world, (London—1924) pp. 144.

(2) Robert Briffault, The making of Humanity, (Lendon—1919) p. 164.

www.abulhasanalinadwi.org

« لقد أشرف العالم المتحضر فى القرنين الخامس و السادس المسيحى على فوهة الفوضى و الدمار ، و كان يخيل لكل راء أن الحضارة التى نمت و ازدهرت و أثمرت فى ظرف أربعة آلاف سنة ، تكاد تنتهى وتزول ، ويرجع الانسان مرة ثانية إلى تلك الوحشية و البربرية التى تتناحر فيها القبائل و تشتعل الحرب بين الفرق و الأحزاب ، و يفقد الأمن و السلام بتاتاً ، لقد كانت الأنظمة القبلية القديمة انتهت قوتها و زالت سلطتها ، و كانت التقاليد و الطقوس التى تبنتها المسيحية و حافظت عليها ، تؤدى إلى التشتت و التمزق و الهلاك ، بدل الوحدة و التماسك و النظام ، كان ذلك العصر محزناً مؤلماً فقد كانت الحضارة التى أظلت العالم كشجرة باسقة وارفة الظلال ، و التى أثمرت أغصانها العلوم و الفنون و الآداب ، كادت تلفظ نفسها الأخير ، لأنها كانت منخورة متأكلة » (١) .

(1) J. H. Denison, Emotion as the basis of civilization, (London—1928) p. 265.

www.abulhasanalinadwi.org

فحين كان الجيل البشرى و الحضارة المدنية فى هذه الحالة من الاحتضار و الإشراف على الدمار ، إذا بسيد هذا الكون يسعد جزيرة العرب بكائن إنسانى عظيم ، و وكل إليه ليس مهمة الحفاظ على الجيل البشرى فحسب ، بل مهمة الوصول بالانسانية إلى أعلى قمة متصورة ، و هى مهمة صعبة دقيقة ، لم تتناولها تجارب المؤرخين الواسعة ، ولا أخيلة الشعراء و الأدباء الخصبة ، ولولا وجود تأليف و شهادات تاريخية موثوق بها لا يمكن جحودها ، ولولا التواتر فى نقلها و روايتها ، لما كان لنا إلى اليقين و القطع بها من سبيل .

لقد كانت هذه شخصية محمد - ﷺ - التى ظهرت فى القرن السادس المسيحى، و كان أول مآثره - ﷺ - أنه رفع ذلك السيف المصلت على رقبة الجيل البشرى التى كانت كل لحظة تنذر بفنائه و انقراضه ، و وهبه الرسول - ﷺ - هدايا غالية و تحفاً ثمينة أعادت إليه حياة جديدة و شحنته بهمة عالية ، وقوة فتية ، وعزة كريمة ، و منحته

www.abulhasanalinadwi.org

هدفاً عالياً جديداً لرحلته الشاقة الطويلة، وبدأ بعهده الميمون السعيد دور جديد للانسانية و الحضارة و المدنية و العلوم و الفنون ، و الاخلاص و الروحانية و بناء الانسان من جديد ، إنه قدم للمجتمع البشرى ثروة عظيمة تعتمد عليها الانسانية لخيرها و رشدها و بركتها ، و تستفيد منها المدنية لازدهارها و رقيها .

و هذه الثروة الغالية هى ثروة عاطفة حب الخير وكراهية الشر ، العاطفة المقدسة الجليلة ، و العزيمة الصارمة الصادقة ، لمقاومة قوى الشرك و تحطيم مراكزه والتضحية بكل غال ونفيس لنشر الخير و تقويته و رفع مناره ، إن هذه العاطفة النبيلة المقدسة ، و هذه الهمة العالية و الطموح الذى لا يعرف الكسل و التوانى ، هو أساس كل أنواع رقى الانسان و رفعته وكرامته ، و مآثره العظيمة الخالدة ، و ذلك لأن جميع الوسائل و الامكانيات المادية ، و العدة و العتاد ، و مؤسسات البحث و الدراسة و التحقيق ، تابعة لارادة الانسان و عزيمته ، فقد بدل القسوة والبهيمية

www.abulhasanalinadwi.org

برحمة و رأفة وإنسانية ، ونشر تعاليمه السامية ، و بذل فى سبيلها الجهود العيظمة المتواصلة ، و لم يبال فى طريقها بأى تعب وجهد و مشقة ، وضحى فى سبيلها براحته و عافيتـــه و حياته و كرامته .

و نتيجة لهذه الجهود المستمرة المضنية وجد من بين الحيوانات العرية عن العواطف البشرية و السباع المفترسة الضارية ، أفراد طيبون صالحون ، تعطرت الدنيا بأنفاسهم الزكيـة و اكتست من جمالهم و روائهم الرونق و البهاء ، فاقوا الملائكة فى سموهم و ارتفـاعهم ، ونالت الحيـاة الى أشرفت عـــلى الهلاك و الدمار قسطاً جديداً من البقـاء و الاستمرار ، و انتشر العدل والرخاء ، وانتصف الضعفاء من الأقوياء الظالمين و أصبحت الذئاب تحرس الغنم و تحافظ عليها ، و هبت النسـائم العليلة البليلة ، و فاحت روائح الحب و الحنان ، و قامت سوق السعادة و اليقين ، و ازدانت الدنيا بمشاهد الجنة الرائعة الجميلة ، و هبت رياح الايمان و نفحات اليقين ، و تحررت النفوس البشرية من

www.abulhasanalinadwi.org

أغلال الأهواء و الشهوات ، و انجذبت القلوب إلى الخير و المعروف كما تنجذب القطع الحديدية إلى المغناطيس .

و يحلولى هنا أن أذكر — بشئ من الاختصار و الايجاز — تلك المنح الأساسية الغالية التى كان لها دور كبير بارز فى قيادة الجيل البشرى ، و إصلاحه و إرشاده و ازدهاره ، و التى ولدت عالماً مشرقاً جديداً رائعاً ، لا يشبه العالم الشاحب القديم فى شئ ، و هى كما يلى .

١ — عقيدة التوحيد النقية الواضحة .

٢ — مبدأ الوحدة الانسانية و المساواة البشرية .

٣ — إعلان كرامة الانسان و سموه .

٤ — رد الاعتبار إلى المرأة ومنحها حقوقها و حظوظها ،

٥ — محاربة اليأس و التشاؤم وبعث الأمل و الرجاء و الثقة ، و الاعتزاز فى نفس الانسان .

٦ — الجمع بين الدين و الدنيا ، و توحيد الصفوف المتناحرة و المعسكرات المتحاربة .

٧ — إيجاد الرباط المقدس الدائم بين الدين و العلم ،

www.abulhasanalinadwi.org

و ربط مصير أحدهما بالآخر و تفخيم شأن العلم والحث عليه ، و توجيهه إلى علم هادف نافع موصل إلى الله .

٨ــ استخــدام العقل و الانتفاع به حتى فى القضــايا الدينية ، و الحث على النظر فى الأنفس و الآفاق .

٩ــ حمل الأمة الاسلامية على قبول مسئوليــة الوصاية على العالم و الحسبة عــلى الأخلاق و الاتجاهــات و سلوك الأفراد و الأمم ، و تحمل مسئولية القيام بالقسط و الشهادة لله .

١٠ــ الوحدة العقائدية الحضارية العالمية .

و هنا يتسنى لنا أن نقدم شيئاً من انطباعات المؤلفين و المفكرين و الأدباء و المؤرخين الغربيين و اعترافاتهم وشهاداتهم ، بدلا من أن نقول من عند أنفسنا شيئاً .

إن قوام هذا العالم المتحضر وبقاءه و قيمة الحضارة و التاريخ و الأخلاق و الآدب ، و الشعر والفن ، ليست إلا بالاعتراف بالحقائق الثابتة ، والتسليم للواقع ، و إظهاره

www.abulhasanalinadwi.org

و التعبير عنه ، و تقدير الفضل و الكمال و الإشادة بهما ، و شكر المحسنين ، و أصحاب الفضل و العطاء و الاعتراف بمنتهم ، و حين يتجرد هـــذا العـالم ، و تتجرد الآداب و الأخلاق ، وكفاءاتنـا الأدبية و الفنيـــة وحرية التعبير التى نملكها ، عن هذا العنصر الكريم و تحرمه بتاتاً ، فلا لذة فى العيش فى هذا العالم ، ولاكرامة ، و تتحول الدنيا إلى حظيرة الوحوش و الأنعام السائمة ، حيث لا يبقى من الدوافع و القوى المحركة إلاشهوة ملأ البطون ، و قضـاء المآرب الجنسية ، و الأهواء والنزعات الحيوانية ، ولا تبقى أى صلة بين الأستاذ و التلميذ ، و المعطى و الآخـــذ ، و المريض و الطبيب ، حتى بين الأبناء والآباء والأمهات ، و لا يبقى أى شعور بالفـارق بين النـاهب و الحـارس ، و الخائن و الأمين .

و نقدم هنا مقتطفاً من مقال الأستاذ وليم ه. داويد سن (William H. Davidson) أحد الباحثين الكتاب فى « موسوعة الأخلاق و الديانات » حول عاطفـــة الشكر

www.abulhasanalinadwi.org

و الاعتراف بالمنة المركوزة فى فطرة الانسان ، وهو يدل دلالة واضحة على أن هذا العنصر فى الانسان عنصر فطرى عالمى لابد أن يبقى فى كل عصر .

يقول الباحث :

« إن عاطفة الشكر والتقدير حسب ما يقول توماس براون Thomas Brown هى عاطفة الحب المريحة المنعشة التى نشعر بها إذا حصلنا على فوائد و منافع من أحد الأفراد ، و إن هذه العاطفة هى نفسها جزء من تلك المنافع التى يناله المرء .

إن الشكر و الاعتراف بالمنة إنما هو رد فعل إيجابى تجاه معاملة كريمة يحمل فى نفسه الاخلاص الكامل و البشاشة و الفرح ، و يكون رد الفعل هذا عاجلا و فطرياً ، و يدل ذلك على أن فطرة الانسان قد أنشئت وكونت تكويناً خاصاً ، تحتل فيه خصلة التحاب والانسجام فيما بين الناس كصفة أساسية ، و أن العداوة و البغضاء - بجميع علائمها وأسبابها - منافية للفطرة البشرية ، ومفسدة

www.abulhasanalinadwi.org

للأخلاق الانسانية (١) .

و إن أكبر مظهر للتسفل الخلقى و اللؤم الفطرى و موت الضمير ، وحمل الخزى و العـار ، و الحرمان من أى أثر من آثار الشرف الانسانى حتى الرمق الأخير منه ، هو التنكـر و الجحود للقادة الدينيين ، وبناة الانسانية ، و أصحاب المنة و الفضل على العالم البشرى كله ، و البلادة فى القول و سلاطة اللسـان و استخدام الأسلوب الشائن الرزىء بأهله ، الذى لا يليق بأدنى شخص و أرذل إنسان ، و الذى لا يجرح شعور مئـات الملايين من البشر من أتباعهـم و محبيهم و المستميتين دونهم و الذين يؤثرونهم على أنفسهم وأهليهم و أموالهم ، ولايكلم عواطفهم الايمانية الجياشـة فحسب ، بل يقتل الحقـائق ، ويذر الرماد فى العيون ، و يحاول طمس الواقع ، و لايجوز لأى مجتمع كريم يعرف قيمته و مكانته ، ولا لأى بلد متحضر لايريد أن يعيش فى الجهل و النكران للجميل ، أن يصبر عـلى

(1) Encyclopedia of Religions and Ethics, (Edinburg—1913) Vol. 6, p. 391.

www.abulhasanalinadwi.org

وجود هؤلاء الأنذال و اللؤماء الذين باعوا ضمائرهم وتخلوا عن إنسانيتهم و تنكروا للجميل و المعروف ، إنهم رجس يجب أن تتطهر الأرض منهم .

بالعكس من هذا الجانب المظلم الأسود ، يمكننا أن نعرض نماذج رائعة من انطباعات كبار المؤلفين المحققين المنصفين و الأدباء الفضلاء الواقعيين ، و أفكارهم وآرائهم ، من عدد من البلدان الراقية .

يقول أديب فرنسا الشهير لامارتين (Lamartine) وهو يعترف بعظمة محمد - ﷺ - و نجاحه المنقطع النظير فى مهمته الجليلة :

« إن إنساناً لم ينهض أبداً - متطوعاً أو غير متطوع - لمثل هذا الهدف الأسمى ، لأن الهدف كان فوق طاقة البشر ، لقد كان تحطيم تلك الحواجز من الأوهام و الأحلام ، التى حالت بين الانسان و خالقه ، و الأخذ بيد الانسان إلى عتبة ربه ، و تحقيق عقيدة التوحيد النقية المعقولة الساطعة ، فى ضباب هذه الوثنية السائدة والآلهة المادية ، هو

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك الهدف الأسمى و الأعلى ، إنه لم يحمل إنسان مثل هذه المسؤلية الضخمة ، و المهمة العظيمة الجليلة التى تخرج عن طوق البشر ، بمثل هذه الوسائل الحقيرة الضئيلة » .

إلى أن قال :

« و أروع من ذلك أنه هز تلك الأصنام و الآلهة ، و الأديان و التصورات ، و العقائد و النفوس الانسانية هزة عنيفة ، أنه بنى على أساس ذلك الكتاب الذى يعتبر كل كلمة منه مصدر التشريع ، قومية ربانية ، ألفت بين أفراد جيل ، وسلالة ، ولغة ، إن الميزة الخالدة لهذه الأمة ، التى كونها لنا محمد - ﷺ - أنها شديدة المقت و التقزز من الآلهة الباطلة ، شديدة الحب لله الواحد الذى ينتزه عن المادة و شوائبها ، و هذا هو الحب الذى يدفعه إلى الثأر و الانتصاف من كل إهانة توجه إلى الذات الالهية ، و هذا الحب يعتبر أساس سائر الفضائل عند هذه الأمة .

لقد كان إخضاع ثلث العالم لهذه العقيدة الجديدة من مأثرته بلاريب ، لكن الأصح أنه كان معجزة العقل

www.abulhasanalinadwi.org

لا معجزة فرد و أحد، إن الإعلان بعقيـــدة التوحيد فى زمن كانت تئن فيه الدنيا تحت وطأة أصنام لا حصر لها، كان معجزة مستقلة بذاتها.

وما لبث محمد - ﷺ - أن أعلن هذه العقيدة أمام الملأ، حتى أقفرت المعابد القديمـــة من عبادها فلا داعى فيها ولا مجيب، وتكهرب ثلث العالم بحرارة الايمان» (١).

ويقول جان وليم درپير John William Draper وهو بصدد تاريخ أوربا الفكرى و العلمى.

«لقد ولد فى مكة إحدى مدن جزيرة العرب عام ٥٦٩م بعد أربعـــة أعوام من موت جستينين Justinian شخص عظيم كان له أكبر تأثير على الجيل البشرى كله» (٢).

و يزيد قائلا:

«إنه قـــد كانت اجتمعت فى محمد - ﷺ - من

---

(1) Lamartine, Histoire DE LA Turquie, (Paris—1854 Vol. 2, pp. 276—277.

(2) John William Draper, A history of the Intellectual development of Europe, (London—1875) Vol. 1, p. 229.

www.abulhasanalinadwi.org

الخلال و الصفات التى غيرت مصـاير الشعوب و الأمم و الحكومات و الدول ، إنه أكد على الحقائق الثابتـة الدائمة بدلا من الخوض فى بحوث ما وراء الطبيعة ، ونذر نفسه عن طريق العناية و الأمر بالنظافة و الطهرة و الجد و الصوم و الصلاة لترقية الحياة الاجتماعية للناس » (١) .

و يقول المؤرخ الفيلسوف A. Toynbee فى كتابه « الحضارة فى الامتحان Civilization on Trial :

« إن القضاء على الفوارق السلالية و العصبيات الجنسية و الدموية ، من أعظم مآثر الاسلام و مفاخره ، أما العصر الحالى الذى نعيش فيـه فان هذه الفضيلة هى كبرى حاجات هذا العصر ، إنه مما لا شك فيه أن الشعوب الناطقة باللغة الانكليزية قد حققت بعض النجـاح فى ربط الشعوب بعضها ببعض ، و عادت على العالم الانسانى بخير و رحمة ، و لكن الحقيقة الراهنة التى يجب الاعتراف بها ،

(1) John William Draper, A history of the intelectual development of Europe, (London—1875) Vol. 1. p. 330.

www.abulhasanalinadwi.org

أنها أخفقت فى ما يتصل بالعواطف السلالية والجنسية » (١)،

و إن من عجيب المصادفات أن توماس كارلائل Thomas Carlyl قبل مأتى سنة اختار محمداً - ﷺ - من بين الأنبياء جميعاً كبطل أعظم ، و الآن فى آخر القرن العشرين وضع مائيكل ه. هارت Michael, H. Hart اسم محمد - ﷺ - برأس القائمة لأسماء أولئك العظماء الذين تركوا آثارا عظيمة فى تاريخ العالم البشرى (٢) .

و نقدم فيما يلى تلك المنن العظيمة الجسيمة التى لا ينساها التاريخ لمحمد - ﷺ - و أتباعه و أمته التى رباها و خرجها فى مدرسته على الجيل البشرى بأجمعه وما قامت به من دور فعال كبير فى ترقية الحضارة و المدنية و استمرارهما و تسلسلهما ، نختصر الحديث فى صورة واقعين تاريخيين معروفين .

---

(1) A. J. Toynbee, Civilization on trial, (New-York—1948, p. 205.

(2) Hart Michael H, The 100—A ranking of the most Influencial Persons in history (NewYork—1978) p. 26.

www.abulhasanalinadwi.org

لا يخفى عـــلى دارسى التاريخ البشرى أنه واجهت البلاد الراقية ، و الحضارة و المدنيـــة و الثقافة و العلوم و الأخلاق و الانسانية ، و الديانتان العظيمتان المؤثرتان ، الاسلام و المسيحية و أتباعهما ، و حكوماتهما الواسعـــة الأطراف ، الراقيـــة المتحضرة الخصبـــة ، بل و مستقبل الانسانيـــة بأسرها فى القرن السابع الهجرى (القرن الثالث عشر المسيحى) أزمة شديدة مردية ، كانت قد قضت على الأخضر و اليابس وذهبت بجهود الماضى كلها أدراج الرياح و نسخت كل حسن و جمال وكل فضل وكمال ، و صيرت المستقبل وجميع إمكانياته النيرة ، شاحبة ضئيلة لا يوثق بها ولا يعتمد عليها ، كانت هى حملة المغول التتار الوحشيـــة المفاجئة بقيادة قائدهم العبقرى النادر جنكيز خان (تموجن) على العالم الغربى والشمالى المتحضر ، التى بدأت عام ٦١٦هـ الموافق ١٢١٩م .

و يمكن أن يقدر هول هذه الهجمة الشرســـة ، و الدهشة التى أثارتهـا و الرعب الذى ألقته فى القلوب ،

www.abulhasanalinadwi.org

وصلا حيتها للقضاء على التراث الحضارى و المدنى و الدينى والعلمى والعقلى و الفكرى ، و البنائى و الصناعى ، وآثارها و نتائجها التى ظهرت على مسرح التاريخ الانسانى من هذه المقتطفات التى اقتبسناها من كتاب جنكيز خان ، لمؤرخه الثقة المؤلف الأستاذ هرالد ليمب (Harold Lamb) ، يقول المؤلف :

« إنه محا فى طريقه كل مدينة من الوجود ، غير مجرى الأنهار وملأ الصحارى باللاجئين المذعورين المشرفين على الموت ، و إنه لم يكن يبقى بعد مروره بالمناطق التى كانت آهلة بالسكان فى يوم ما من الأيام ، أى حى من الاحياء ، إلا الكلاب و الذئاب و الحدأة و النسور (١).

و قد كان العالم المسيحى بعد موت جنكيز خان (٢) فى دهشة وحيرة و فزع ، تجاه جيل المغول التالى ، على حين كان الفرسان المغول المفترسون يعيثون فى أوربا

(1) Harold Lamb, Genghis Khan, (London—1928) p. 12.

(٢) عام ٦٢٤هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

و يدوسونها بأقدامهم ، و قـد فرمنهم بول سلاس ملك بولندا و بيلا ملك النمسا منهزمين من ساحة القتال ، و قد قتل (١) ديوك هينرى من سائى ليسيا مع فرسانه فى ليك نتز (Liegnitz) (٢) .

كانت هـذه حرباً ضروساً تجاوزت كل الحدود ، و بلغت إلى حـد الحرب العالمية الثانيـة ، لقد كانت هى مقتلة عامة لنوع البشر ، لم يكن هدفهـا الا إبادة الناس و القضاء عليهم (٣) .

لم يكن فى وسع الانسان أن يسد سيل المغول ، فقد تغلبوا على جميع أخطار الصحـارى و الغابات ، ولم يقف فى وجههم أى شئ من الجبال و البحار ، وشدائد الطقوس و الفصول ، و القحط و الأوبئة ، ولم يكونوا يخافون أى

---

(1) Harold Lamb, Genghis Khan, (London—1928) p. 12.

(٢) ليك نتز (Leignitz) تقع فى مديرية (Wroclaw) فى بولندا قرب حدود ألمانيا الشرقية واسمها الجديد لكنيكا (Legnica) .

(3) Harold Lamb, Genghis Khan (London—1928) p. 166

www.abulhasanalinadwi.org

خطر ولا مانع ، ولا هناك قلعة رد هجومهم ولا كانت تؤثر فيهم استغاثة من مظلوم (١) .

إن أعداءه من المؤرخين ذكروا فتوحه و انتصاره أكثر من غيرهم ، لقد كانت غارته على الحضارة ، و المدنية بلغت من الهول و التدمير و الابادة ، أن عادت نصف الكرة الأرضية كأن لم تغن بالأمس ، و بدأت الحياة من جديد ، لقد دمرت حكومات بريسترجان ، وختا ، و قراختائى ، وخوارزم ، ثم بعد موته حكومة بغداد ، و دول روسية ، و بولندا ، و كلما فتح هذا الوحش الضارى، الذى لم يلق هزيمة فى حياته، شعباً من الشعوب، انتهت جميع الحروب و المعارك الداخلية ، و تغير مئار الأوضاع و الظروف ، سواء كان صالحاً أو غير صالح ، و يبقى الأمن مدة طويلة بين أناس يقون أحياء بعد انتصار المغول (٢) .

و قد تصدى المؤلفون لتاريخ العهد المتوسط الصادر

---

(1) Harold Lamb, Genghis Khan (London—1928) p. 210

(2) ,, ,, ,, p. 206

www.abulhasanalinadwi.org

من كمبرج بذكر صـــدام المغول الشديد الذى كان سببـــه جنكيز خان ، بمايلى :

« إن ظهور هذه القوة الجديدة فى تاريخ العـالم ، أعنى قدرة رجل واحد على تغيير حضارة النوع البشرى ، يبتـــدىء من جنكيز خان ، و ينتهى إلى حفيده قوبيلائى خان الذى بدت فى عهده آثار الفرقة و الانشقاق فى مملكة المغول المتحدة المتماسكة ، و الحقيقة أن التاريخ لم يشهد إلى الآن قوة تشبه قوة هؤلاء المغول (١) » .

ولم يكن العالم الاسلامى و حده فريسة هذه الفتنة التتارية ، و إنما العالم المتمدن كلـــه كان متوجلا من هذه الغارة ، و قـــد تفشى الذعر و الخوف فى الأمكنة التى يكن يرجى فيها وصول التتار ، يقول جبون فى كتابه الشهير « تاريخ إنحطاط و سقوط روما » .

« حينما اطلع سكان السويد على أخبار غارة التتار عن طريق روسيـا تسلط عليهم من الذعر و الخوف ما

(1) Harold Lamb, Cenghis Khan (London—1928) p. 210

www.abulhasanalinadwi.org

ما منعهم عن الخروج إلى سواحل إنجلترا لصيد الأسماك و قد كان ذلك عادة متبعة لديهم (١) » .

وقد ابتدأ التتار ببخارى و أتوا عليها من كل جانب، فدمروها حتى عادت كومة من تراب ، ثم توجهوا إلى سمرقند و أحرقوها و أبادوا أهلها ، و لقيت نفس المصير المدن الشهيرة للعالم الاسلامى ، و قد كان من المتوقع أن يتوجه التتار بعد تدويخ القوة الاسلامية الموحدة الأخيرة فى هذه المنطقة مملكة خوارزم شاه و القضاء عليها، وتحويل المدن الاسلامية المركزية المعمورة الكبرى إلى خراب يباب ، نحو الغرب المسيحى — و قد كانت حالة أوربا الخلقية و الفوضى السياسية و انحراف المجتمع و فساده و انحطاطه فيها — و قد تعرضنا لذكرها فى ضوء أقوال الباحثين و المؤلفين الغربيين المنصفين يدعو إلى هذه الحملة، و يمهد لها السبيل — ثم يلقى الغرب المسيحى كذلك نفس المصير المشئوم الذى لقيه الشرق الاسلامى .

(1) Edward Gibbon, The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol. III, (New York) n. d. p. 634.

www.abulhasanalinadwi.org

و قـــد كنا ذكرنا قول هـ . ج . ويلز (H. G. - Wells) :

« كان يسوغ لمتتبع — غير محنك ناضج الفكر — للأوضاع السائدة فى أوائل القرن السابع المسيحى أن يتنبأ بسهولة وبثقة، بأن أوربا وآسيا ستقعان تحت رحمة المغول الوحوش فى غضون بضعة قرون قادمة » (١) .

و يقول هيرالد ليمب : (Harold Lamb) .

« إن حملة جنكيز خان و غارته الشعواء المـــدمرة ألحقت بالمدنيـــة خسائر فادحة عظيمة ، فقد قضت عـــلى الحضارة و الثقافة فى نصف الكرة الأرضيـــة ، ثم عادتا بعد موتهما إلى الحياة من جديد . . و قد محيت سلطنـة خوارزم شاه ، و خلافـــة بغداد و مملكة روسيا و دولة بولندا لمدة لابأس بها من الوجود » (٢) .

« و إن جيوش ألمانيا و بولندا لم تتحمل صدمـــة

(1) A short history of the world Op. Cit, p. 144.
(2) Harold Lamb, Genghis Khan, Op. Cit, p. 206.

www.abulhasanalinadwi.org

الهجمة الطاغية التى قام بها المغول الذين أبادوها و دمروها تدميراً » (١) .

ولكن فاجأ العالم حادث ـ لايقل عن معجزة ـ غير مجرى التاريخ ، و أعطى العالم المتمدن المعمور فرصة ليس لأن يتنفس بطمأنينة و راحة فحسب ، بل ليخدم من جديد المدنية و الحضارة و العلم و الفكر ، وينال القوة و الاستقرار و الرقى و الازدهار ، و هو أن هذا الشعب الفاتح الذى لم تلحقه هزيمة و الذى استعصى على الشعوب و الأمم ، اعتنق ديانة الشعب المغزو المفتوح ، المضطهد المظلوم ، الذى فقد قوته السياسية والمادية ، و الذى كان ينظر إليه نظرة احتقار و ازدراء ، يقول البروفيسور آرنلد فى كتابه « الدعوة إلى الاسلام » (Preaching Of Islam) و هو يبدى حيرته و استغرابه من هذا الحادث :

« و لكن الاسلام نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى ، و أطلال مجده التالد ، و استطاع بواسطة الدعاة

(1) Harold Lamb, Genghis Khan, Op. Cit, p. 231.

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين ، أن يجذب أولئك الفاتحين الذين قد أنفدوا جهدهم في اضطهاد المسلمين ، و يحملهم على اعتناقه » (١) .

إن هذا الحدث مثار دهشة وعجب ، و لكن استغرابنا يشتد حينما لا نجد تفاصيله وافية فى بطون التاريخ ، إننا لا نكاد نعثر على أسماء هؤلاء الأعلام والأبطال الذين حققوا هذه المأثرة و أدخلوا هذا الشعب الهمج فى حظيرة الاسلام ، مع أن هذه المأثرة لا تقل أهمية عن أى مأثرة إسلامية فى التاريخ ، ولهم فضل لا ينكر ، لا على رقاب المسلمين فحسب ، بل على الانسانية كلها ، إلى أن يأذن الله لها بالفناء ، فانهم أنقذوا العالم من دمار محتوم ، و همجية مجنونة ، وحالة رعب و دهشة وهلع ، إلى جو الايمان واليقين ، و الأمن والسلام ، و الاجتماع والنظام ، وحب العلم و تشجيعه ، وتنميته وتقدير أهل الفضل والكمال ، وبدأ العلم والفكر والتأليف والبحث و التدريس و التحقيق و الأدب و الفن رحلته من جديد ، فى جو معتدل متزن ،

(1) T. W. Arnold, the Preaching of Islam, (London—1935) p. 227.

www.abulhasanalinadwi.org

وفى ظل المقدرين لجهود أصحاب الفضل والنبوغ ، والمعترفين لدورهم و منتهم ، و المشجعين لهم عـلى أعمالهم العلمية و الفكرية .

لقد توزعت دولة جنكيز خان بعد وفاته إلى أربعة فروع ، وبدأ الاسلام ينتشر فى هذه الفروع الأربعـة ، وأصبح التتر يعتنقون الاسلام بجهود الخاقان ، حتى دخلوا فى ظرف مائة سنة فى دين الله (١) .

إن قصص هؤلاء الدعاة المسلمين والمشايخ الصالحين و الأمراء المخلصين الذين أثرت أخلاقهم الكريمة العالية ، و سيرتهم المخلصة النزيهة ، و ربانيتهم الصادقة ، و إشراقهم و جاذبيتهم فى دؤلاء الهمـج المغول المقـاتلين الظـامئين للدماء ، فتحولوا إلى اعتناق الدين الاسلامى ، لقصص حية مثيرة ، لا تزال تشعل مجامر القـلوب ، وتهز النفوس

(١) يرجع للتفصيل فى هذا الموضوع إلى فصل « انتشار الاسلام فى التتار » فى كتاب الكاتب « رجال الفكر و الدعوة » ، ج/١ ، ص/٣٠٦ - ٣٢١ .

www.abulhasanalinadwi.org

و تجذب القلوب (١) .

إن التتار لم يدخلوا الاسلام رسمياً كشعب يعتنق هذا الدين بأسره فحسب ، بل برز فيهم عدد كبير من العلماء و الفقهاء و المجاهدين و الدعاة و الربانيين و أهل الصدق و اليقين ، و أدوا دورهم الثمين فى حماية حمى الاسلام فى ظروف دقيقة و لحظات عصيبة من التاريخ .

إن حادث دخول التتار فى الاسلام الذى غير طبيعتهم وذوقهم و ميولهم ، و نظرتهم إلى المدنية والانسانية ليس منة على الشرق الاسلامى فحسب، بل هى منة عظيمة على الغرب المسيحى وشبه القارة الهندية أيضاً ، التى حملوا عليها فى نفس القرن السابع الهجرى (القرن الثالث عشر المسيحى) تسع أو عشر مرات ، و لكن الملوك الأتراك المسلمين وعلى رأسهم السلطان علاء الدين الخلجى (م٧١٦هـ-

---

(١) أنظر لنماذج منها كتاب البروفيسور آرنلد « الدعوة إلى الاسلام » ، و كتاب الكاتب « رجال الفكر و الدعوة » ، ج / ١ .

www.abulhasanalinadwi.org

الموافق ١٣١٦م) وقائد جيوشه الغازى غياث الدين تغلق شاه (م٧٢٥ه الموافق ١٣٢٤م) ردوا هجماتهم على وجوههم، و هزموهم ، وهكذا استطاعوا أن يحموا هذه البلاد القديمة المخصبة ، و تراثها العلمى و الحضارى و ديانتيها الكبيرتين الاسلام و الهندوسية — بفروعها الكثيرة — من غارة التتار الوحشية .

لقد كانت هذه المأثرة العظيمة منة للاسلام على عالم البشرية بصفة عامة وعلى الغرب المسيحى بصفة خاصة ـ الذى كان قد قدر له فى مستقبل الأيام أن يلعب دوراً هاماً فى الكشوف العلمية و المخترعات المادية ، والبحث عن الوسائل و الآلات التى تيسر سبل الحياة ، و طرق تبادل العلم ، و الثقافات ، ويهيئ للعالم مرافق الحياة ، كانت هذه المنة على الغرب منة الحماية و الصيانة له من الدمار المتوقع والغزو الشرس الذى لايعرف الرحمة .

هـذا ، و بجانب آخر كانت للاسلام مأثرة عظيمة خالدة ومنة أخرى جسيمة على الغرب عن طريق تعريفه

www.abulhasanalinadwi.org

للغرب بمصادر العلم و المعرفـــة الجديدة ، و منابع الثقافة الأصيلة ، بل إمتاعه بها ، و فتح الأبواب أمامه للاستفادة منها ، فقد كانت هذه العلوم و الثقافات الاسلامية هى التى أضـاءت للغرب الطريق فى غيـــاهب قرونه المظلمـــة (Dark Ages) و وهبتـــه نوراً جديداً مهد له السبيل لنهضته العملاقة الحديثة (Renaissance) التى لم تغير عالم الغرب رأساً على عقب فحسب ، بل أفادت العالم كله بحقائق و معلومات جديدة ، و بدأ بها عهد جديد للعلوم التجريبية (Science) التى أحـــدثت فى هذه الدنيا انقلاباً مدهشاً و ثورة كبيرة ، و أن أكبر منحة و هدية قدمتهـا الأندلس الاسلامية (Muslim Spain) التى انتقلت عن طريقهـا إلى الغرب العلوم و الآداب ، و الفلسفة و الحكمة والطب و الرياضيـات ، هى الواقعيـــة و المنطق الاستقرائى (Inductive Logic) الذى حل محل القياس و الاستنباط (Deductive Logic) والذى غير مجرى الفكر فى الغرب ، و الذى لم يسبب رقى التكنولوجيا الحديثة و العلوم الجديدة

www.abulhasanalinadwi.org

و ازدهارها فحسب ، بل إنهما مدينتان له فى وجودهما و ظهورهما ، إن جميع بحوث الغرب و تحقيقاته المفيدة النافعة و التجارب العلمية الحديثة ، و الانتصارات المحدودة و الجزئية فى تسخير هذا الكون ، و إزالة العوائق و العراقيل و المشاكل المتنوعة فى رحلة الحياة العسيرة ، لم تكن إلا نتيجة هذا المنطق الاستقرائى ، الذى كان يجهله الغرب تماما قبل الاتصال بالمسلمين ، و قد تعرف به الغرب عن طريق الأندلس الاسلامية كما صرح بذلك المحققون المنصفون من المؤرخين .

يقول المؤرخ الفرنساوى الفاضل غوستاف ليبان Gustave Le Bon.

« ينسب الناس إلى باكون (Francis Bacon) قاعدة التجربة و الملاحظة و المنطق الاستقرائى (Inductive-Logic) - و هما الأصل فى أساس البحث العلمى الحديث ، ولكن من الواجب أن يعترف اليوم بأن هذه الطريقة كلها هى من معطيات العرب (١) .

---

(١) تمدن عرب « لغوستاف ليبان ، نقله إلى الأردية ❁

www.abulhasanalinadwi.org

و يقول رابرت بريفالت فى كتابه (The Making -Of Humanity.) :

« ما من ناحية من نواحى تقدم أوربا ، إلا وللحضارة الاسلاميـــة فيها فضل كبير ، و آثار حاسمـــة لهـا تأثير كبير » (١) .

و يقول :

« لم تكن العلوم الطبيعيـــة (التى يرجع فيها الفضل إلى العرب) هى التى أعادت أوربا إلى الحيـاة ، و لـكن الحضارة الاسلامية قد أثرت فى حياة أوربا تأثيرات كثيرة و متنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوربا » (٢) .

و يمكن أن يقدر الدارسون لتاريخ أوربا الدينى و الـكنائس المسيحية ، ما كان من تأثير عقلى و فـكرى ملموس على دعاة الاصلاح ضد الأنظمـــة البابوية ، فاننا

---

* الأستـاذ السيد على البلكرامى ص /٤٠٠ ، طبع أترابرديش أردو اكادمى، لـكنؤ (الهند) ١٩٨٥م

(1) Robert Briffault, the Making of Humanity, (London—1919) p. 202.

(2) Robert Briffault, the Making of Humanity, (London—1919) p. 190.

www.abulhasanalinadwi.org

نرى انعكاساً للتعاليم الاسلامية فى حركة الاصلاح القوية التى قام بها لوثر (Luther) فى القرن السادس عشر المسيحى ، فكما تنعكس فى المرآة الأشعة الواقعة عليها من بعيد ، كذلك نجد هذه التأثيرات الاسلامية تتجلى فى تلك الحركات التى قامت فى أوربا المسيحية ضد الاحتكار البابوى و الاضطهاد الكنسى كما أشار إلى ذلك المسيحى الفاضل (J. Bass Mullinger) (١) .

سادتى ! إن من متطلبات هاتين المنتين العظيمتين الخلقية و الانسانية أن يعترف بعظمة مصدرهما الحقيق ، وصاحب الفضل فيهما ، وكلما أردنا أن نعبر عن شعورنا و عواطفنا تجاهه بأى مناسبة أو بأى عنوان ، أو إذا حاولنا دراسته العلمية و التاريخية ، يجب أن نلتزم بالمثل الخلقية العليا التى لم تزل محترمة منذ آلاف السنين بين مختلف شعوب العالم و حضاراته ، و فلسفاته ولا نغفل أبدا فى ذلك عن الجد و الرزانة و الاعتدال و الانصاف و الواقعية ، إن هذا

(١) أنظر المقال حول مارتن لوثر فى الموسوعة البريطانية ».

www.abulhasanalinadwi.org

مما أوصت به جميع الصحف المقدسة ، و التعاليم الخلقية ، وسير الأعلام من المؤرخين و النقـاد ، و هذا ما يعتمد عليه تبادل الاحترام بين الشعوب و الديانات ، بل تبادل العلم و المعرفة ، و الذى تتحول بدونه جميع الجهود العلمية و الأدبية وأعمال النقد والتحليل الرزينة الوقورة ، من عمل جاد علمى بناء ، إلى فحش و هزل ، وسب وشتائم ، التى تؤدى إلى نتائج سلبية فوضوية ، تبعث على المقت والبغضاء و الحقد ، العظائم التى يستعيذ منها العلم و الأدب آلاف المرات ، و التى يخشى أن تؤثر عـلى عـلاقات الأمم و الشعوب ، و البلدان و الدول .

و أخيراً إنها فكرة سطحية سوقيـة أن يعتقد بأن فرض بعض القيود على حرية الرأى يعنى استلاب حرية الفرد ، و القهر و الاستبداد Coercion ، ليس معنـاه إلا تعطيل دستور أى بلد حر و قانونه ، أو جعله بحيث لا يمكن إقراره و تنفيذه .

إنه لايجوز إطلاقـاً بأن يسمح بحرية الرأى التى

www.abulhasanalinadwi.org

تتعدى جميع الحدود و القيود الخلقيـــة ، و تستعمل فى حق قادة البشرية و بناة القيم الانسانية و أئمـــة الديانات العظيـــة و مؤسسيها أسلوباً مسفاً ، و كلمات سوقيـــة Obscene ، قد يسمح بها - إلى حد ما - للأدب الفكاهى و أدب التكيت و الروايات ، و لكن لا يسمح به لبيان الحقائق و المسلمات التاريخية ، و لا يجوز استخدامه بحيث يجرح قلوب مئات الملايين من أتباع الأنبياء و الرسل و مؤسسى الديانات ، و يؤثر عـلى العلاقات بين مختلف العناصر البشرية التى تتكون منها البلاد و المجتمعات ، إنهـا عملية إجراميـــة لن يسمح بها فى أى بلد متحضر آمن ، يأخذ بمبدأ التعايش السلمى Co-Existence و يؤمن به .

و إن عـــدداً غير قليل من كبار المفكرين الغربيين و المثقفين الفضلاء منهم لم يعترفوا بحرية الرأى المطلقـــة العامة ، و أشاروا إلى نتائج هذه الحرية المطلقة الجامحـــة الخطيرة ، التى هى أشـــد ضرراً و أكبر خطراً من سلب حرية الرأى بتاتاً ، أكتفى هنـا بذكـر تصريحين ، فاننا

www.abulhasanalinadwi.org

لو استقصينا هـــذه التصريحات و الشهـادات لجاءت فى مجلد كبير .

يقول أحد رجال القانون المعروفين (William-Ebenstein) :

« إن الاحتجاج ضد الرقابة الخلقيـــة أو القوانين المتعلقة بالأخلاق الشخصية بناء على أنها قيود لاتطاق على حرية الفرد الشخصية ، يعنى أننا تصورنا و اعتقدنا سلفاً بأن الحريات التى تفرض هذه القوانين الحظر عليها ، هى من الحاجات الأساسية لمجتمع فاضل أو لأى مجتمع بشرى ، و أنه بالعكس من ذلك يعنى الدفاع عن هـــذه القوانين و حمايتها ، إنها حاجات غير لازمة ، أو أن قضاء هـــذه الحاجات لا يمكن إلا بالتضحيـــة بتلك المثل التى هى أعلى و أفضل من الحرية الشخصية ، و التى تكفل بقضـاء حاجات البشرية العميقة الدقيقة ، إنها القيم العليـا التى هى ليست داخلية بل تحمل أهمية موضوعية .

أما إنه ما هى حدود حرية الفرد أو بعض الأفراد فهى قضية تعتمـــد على مقارنة دقيقـــة بين الاطار الذى

www.abulhasanalinadwi.org

يريدونه لحريتهم ، و بين مقتضيات القيم و المثل العليا كالمساواة والعدل ، و السلام والحفاظ على حقوق الناس ، و لذلك فانه لا يمكن أن تبقى هذه الحرية مطلقة من القيود » (١) ،

و قال بليك استون Black Stone فى خطابه الذى يعتبر أساساً لقانون حرية الرأى بالولايات المتحدة .

« إن كل فرد حر له الحق الشرعى فى أن يبدى عواطفه أمام الجمهور ، و إن فرض الحظر عليه قضاء على حرية الصحافة ، و لكنه إذا أراد أن ينشر شيئاً غير لائق ، يثير فتنة أو يخالف القانون فانه يتحمل وزر مسئوليته ، و إن الكتابات الخطيرة الاجرامية التى تعتبر بعد مرافعة محايدة منصفة ، ذات ضرر و خسارة ، يلزم المعاقبة و التعزير عليها للحفاظ على الأمن و السلام ، و السلطة و الديانة ، لأنها هى الأسس التى تقوم عليها الحرية المدنية ، فضمير الفرد حر ، مكفولة له الحرية ،

(1) Isaih Berlin in Modern Political thought (eb) William Edenstein New Delhi 1974—87-58 .

www.abulhasanalinadwi.org

و لكن التعزير على استخدامها السيئ من أهداف القوانين الجنائية (١) .

سادتى ! وأحب — أن أختم هـذا المقال بقصيدة للدكتور محمـد إقبـال لاتشنف الآذان فحسب بل تنعش الأرواح و القلوب ، و تعطيها مذاقاً لذيذاً و تساعد على استحضار تلك الهـدايا و المنن و الفتوح و الانتصارات التى حملتها رسالة محمد - ﷺ - للعالم ، ولا نجد نظيرها فى تاريخ الاصلاح و الديانات ، و حياة النوابغ و الابطال :

« اكتست صحراء العرب بفضل هذا النبى الأمى حلة أنيقة ، و انبتت زهرة يانعة ، إن عاطفة الحرية نشأت فى ظل هذا النبى بل ترعرعت ونمت فى حجره ، و هكذا كان يوم زهو العـالم المعاصر مديناً لأمسه .

لقد وضع قلباً نابضاً خفاقاً فى جسد الانسان البارد و أزاح الستار عن طلعته الجميلة الوضاءة .

هزم كل طاغوت ، و حطم كل صنم ، و أورق به كل غصن يابس و أزهر و أثمر ، إنه روح معركة بدر

(١) مقتبس من القانون الدستورى للهند Constitutianal Law of India H. M. Seervai

www.abulhasanalinadwi.org

وحنين ، و إنه مربى الصديق و الفاروق و الحسين .

أذان صلاة الحرب و جرس سورة الصافات غيض من فيضه .

جعل سيف صلاح الدين البتار ، و نظرة بايزيد النافذة ، مفتاح كنوز الدنيا و الآخرة .

جرعة من كأسه أروت العقل و القلب ، و التقى بها روح الرومى بفكر الرازى .

و اجتمع بها العلم و الحكمة ، و الدين و الشرع ، و الادارة و الحكم ، مع قلوب مخبتة منيبة فى الصدور .

إن جمال قصر الحمراء ، و التاج ، الذى نال خراج الملائكة ، و إعجاب القديسين هو نفحة من نفحاته ، و لمحة قصيرة من لمحاته ، و ومضة من أنواره و بركاته .

ظاهره تلك التجليات والنفحات ، وباطنه درمكنون ، لم يطلع عليه العارفون و لم يصل إلى كنهه السالكون .

فلا ريب أنه يستحق ثناء الجميع و شكرهم و حمدهم ، لأنه أسبغ نعمة الايمان على هذه الحفنة من التراب .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

www.abulhasanalinadwi.org